الفصل الخامس والعشرون

مميزات اللغات السامية واللغة التيجرية (البني عامرية)

لكل لغة من لغات الشعوب مميزات تتميز بها ، وقد تشترك معها بعض اللغات الأخرى في تلك المميزات . وقد توصل علماء اللغات السامية إلي بعض المعالم الواضحة التى تميز هذه اللغات ، والتى يشترك فيها عدد منها إن لم تكن كلها . وفيما يلى بعض تلك المميزات التى رأى علماء اللغة أنها مشتركة ومميزة للغات السامية [1] . وبمقتضى هذه القواعد توصل الباحثون إلي أن اللغة المصرية القديمة لغة سامية .

١ – تعتمد اللغات السامية على الحروف الصامتة . consonant وحدها ، ولا تلتفت إلي الأصول بمقدار ما تلتفت إلي الصامتة .

٢ – أغلب الكلمات السامية يرجع اشتقاقها إلي أصل من ثلاثة أحرف أو حرفين .

٣ – تسود على اللغات السامية ظاهرة الفعل لأن اشتقاقات كلماتها هي في الأصل من فعل .

٤ – ليس في اللغات السامية أثر لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الإثنتان ككلمة واحدة تدل على معنى مركب من كلمتين .

---

[1] محمد عبد القادر محمد : مقال العلاقات العربية المصرية القديمة – المجلد الأول " مصادر تاريخ الجزيرة العربية " ص ٢٢ مطبوعات جامعة الرياض – سنة ١٣٧٩ / ١٩٧٩ م .

اللغة البنى عامرية (التيجرية)

يتحدث أبناء قبيلة بنى عامر الذين يسكنون فى توكر وما حولها من مناطق حتى الحدود السودانية الإرترية وما وراءها وصولا إلي مصوع ودهلك باللغة البنى عامرية التى تنسب إلي هذه القبيلة الكبيرة . وتمتد أراضي هذه القبيلة وأوطانها في جمهورية السودان حتى تصل إلي مدينة كسلا وضواحيها بالإضافة إلي توغلها في الأراضي الإرترية . وكل هذه الأراضي كانت تحت سلطان ملك بني عامر من البلويين الذين ينتمون إلي قبيلة بلي العربية اليمنية والذين استوطنوا هذه الجهات منذ عهود سحيقة قبل المسيحية .

واللغة البني عامرية لغة سامية وهى سهلة التعلم للناطقين باللغة العربية . ولهذه اللغة أسماء كثيرة منها أنها اللغة " التيجرية " ويعتقد بأنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت لغة التخاطب التى كان يتحدث بها تجار العرب قبل تطور اللغة العربية عند ما كانوا يهبطون سواحل إفريقيا للاتجار مع تلك المناطق وصولا من هناك إلي الأراضي السودانية تحت مملكة البجة وبقية أراضى إرتريا . ولذلك فإنه يعتقد بأن هذا اللفظ قد اشتق من كلمة تاجر ، وربما تويجر ثم حدث في اللفظ من التغيير ما حدث حتى أصبحت اللغة هى اللغة التيجرية .

والمعروف أن العرب كانوا يتنقلون بين اليمن وسواحل البحر الأحمر الجنوبية والغربية . ولم يكن اليمنيون وحدهم هم الذين يسلكون هذه الطرق فحسب ، بل كانت هناك القبائل الحجازية من مضرية أو عدنانية إلي

يمنية ، وكلها تبحر في البحر الأحمر وتعبره للوصول بتجاراتها إلي السواحل الإفريقية . وكانت من بين القبائل العربية التى تسافر بقوافلها إلي اليمن ثم ترسل تجاراتها إلي السودان وإرتريا بل والحبشة أيضا قبيلة قريش . وكان هناك طريق بحرى معروف يسير من ميناء شعيبة قرب جدة إلي جزيرة عيري أو سواكن أو العقيق على الساحل السوداني ومنها إلي مصوع (باضع) و دهلك في الأراضي الإرترية التى كانت تتحدث بهذه اللغة البني عامرية ، ومن الأسماء التى أطلقت على هذه اللغة أيضا " الحبابية " والحباب هم إحدى قبائل هذا الإقليم ، و ينتمى زعماؤها إلي قريش إذ أن جدهم هو الفضل بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .[٢] وقد نسبت هذه اللغة لهذه القبيلة أيضا بسبب كثرة أبناء هذه القبيلة التى ينتشر أبناؤها بين السودان وإرتريا ، وكانوا يعملون بشكل مستمر فى دلتا توكر لزراعتها وحصاد قطنها وذرتها .

وتسمى هذه اللغة أيضا بالحاساوية وقد تبدل الحاء أحيانا خاء فيقال الخاساوية . كما ينطقها أبناء البجة ممن يتحدثون باللغة التبداوية " كاساوية " وكلها نسبة إلى قبيلة الخاسا أو الحاسا التى كانت سيدة على سواكن والأراضى الواقعة جنوبيها . وكانت هذه القبيلة التي ربما نزحت من الاحساء بالجزيرة العربية فى فترة مجهولة التاريخ وربما قبل ظهور اللغة العربية بشكلها المعروف ، فاستوطنت تلك الديار مع بقية القبائل العربية الأخرى ، وكانت تتكلم بهذه اللغة البنى عامرية ذات الصلة الوثيقة بالعربية .

---

[٢] محمد صالح ضرار : تاريخ الحباب والحماسين : ص ٧ . الدار السودانية للنشر .

ولكى نقرب إلى القارئ وإلى ذهنه هذه اللغة فإننا سنذكر هنا بعض كلماتها التى يمكن مقارنتها باللغة العربية سواء ما قرب منها أو بعد . ففي البنى عامرية يقال للماء (مايْ) ، وإذا أردت أن تقول " أسقنى ماء " قلت " مايْ اسْتِينِّ " . أما العدد من واحد إلى عشرة فهو : حَتِّي، كُلْؤُوت ، سَلسْ ، أرْبعتْ ، حَمِسْ ، سِسْ ، سَبُعْ ، سَمَانيتْ ، سِعْ ، عِسْرة . ثم تقول لثلاثة عشر عِسْرَة وسلس وهكذا وهكذا ويلاحظ أنهم يقلبون الثاء فى ثلاثة سينا .

ويقال للبنت (وَلَتْ) ، وللولد (حِطْآن) ، وللمرأة (إسَّيتْ) أى سيدة ، وللكبير (عَبَّايْ) وللصغير (نؤوش) . فإذا أراد أحدهم أن يسأل عما إذا كنت رأيت أباك ، قال لك " أبوكَ رَئيكَ " . فإذا أردت أن تقول إنك رأيته قلت " رَئِيكُوُّ " وإذا أردت أن تقول " أعطنى " قلت " هَبَنِّى " بتشديد النون وكسرها أى هَبْنى باللغة العربية .

وتاء المخاطب فى أتيتَ ونمتَ وتكلمتَ تجد أنها فى هذه اللغة دائما كاف مفتوحة فتقول مَطَأْكَ ، وسَكْبْكَ ، إتْهاقِيكَ . ولجمع المخاطب يقال مَطَأْكمْ ، وسَكَبْكُمْ واتهاقيكُمْ . وللمؤنثة تكسر هذه الكاف فى المفردة ، وهكذا فإنها تشبه الحركات التى نجدها فى اللغة العربية فى مثل هذه الحالات فتقول مَطَأْكِ وسَكِبْكِ وإتها قِيك (بالإمالة في الياء) .

ومن أوجه التقارب بين اللغة العربية واللغة البني عامرية ، فكلا اللغتين تستعمل تاء التأنيث الساكنة فى آخر الفعل الماضي فيقال فى كلمة (أتتْ العربية ، مَطْأَتْ ، وفى خرجت (فَقَرَتْ) ، وفى ذهبت (قَيسَتْ) (بها إمالة في الياء) ، وفى نامت (سَكْبَتْ) .

وفى الخطاب بالفعل المضارع يقال فى قولك : أَنْتَ تأتى (إنْتَ تِمطِّئْ) ، وأنت تذهب (إنت تَقيِّسْ) ، وفى أنت تخرج (إنْتَ تِفقَّرْ) .

أما إذا كان الفعل معتل الآخر بالياء فتقول لمن يقال له أنْتَ تشترى (إنْتَ تِدَّابِي) ، وأنت تتكلم (إنْتَ تِتْهاقِى) . وفى جميع هذه الأفعال فإن التاء تنطق مكسورة فى الفعل المضارع على لغة تميم .

وتشبه اللغة البني عامرية اللغة العربية أيضا فى بعض نواحى التصريف . ففى اسم الفاعل نجد أنه يجئ دائما على وزن " فاعل " فتقول للكلمات " آت ، وخارج ، ونائم : ماطِئْ ، وفاقِرْ ، ، وساكِبْ) .

وتاء المتكلم تقلب كافا وتضم الكاف مع إشباعها قليلا للتدليل على ضمها فتقول فى الأمثلة السابقة مَطَأْكُوُ ، وادّابيكو ، وفَقَرْكُو وسَكَبْكُو أى أتيتُ واشتريتُ وخرجتُ ونمتُ .

وعند التحدث إلى المخاطب فإن الفعل الماضي ينتهي بالكاف المفتوحة فى اللغة التيجرية فيقال مَطأْكَ ، وسَكَبْكَ ، وقِسْكَ بمعنى أتيتَ ، زنمتَ ، وذهبتَ .

ويبدو أن بعض كلمات اللغة التيجرية كانت معروفة عند أهل مكة ، وكانوا يعتبرونها اللغة الحبشية . وقد جاء في كتاب الطراز المنقوش أن النبي صلى الله عليه وسلم نطق ببعض الألفاظ الحبشية . وذكروا أنه عندما رجعت أم خالد من الحبشة كساها كساء فيه أعلام يعرف بالخميصة ، وجعل النبي (ص) يمسح الأعلام بيده ويقول " سناه ، سناه " أي حسن حسن . وقبائل بني عامر يستعملون كلمة من هذا الصوت هي كلمة سَنِّي للمذكر أى حسن ، ويقولون للمؤنث سَنِّيتْ بالإمالة في الياء ومعناها حَسنَتْ . أما معنى (حسن) في اللغات التى على الشاطئ الحبشي فإنها مغايرة لهذه

الكلمة ومشتقاتها . ففي اللغة الأمهرية نجد أن ما يقابل هذه الكلمة هو (سَوِيَو) ، وفي اللغة التيجرينا فهي كلمة (سُبُوكْ) وفي لغة الجعز التى كانت اللغة الدينية فهي الجعز . وربما أوضحت لنا هذه الكلمة وحدها مدى الصلة بين قبائل بني عامر الذين نزحوا في عصر متقدم إلى أراضي الساحل الإفريقي أى إرتريا والسودان الشرقي وبين قريش زعيمة التجارة الدولية في العصر الجاهلي ، وقد عرف ذلك التأثير اللغوي النبي صلى الله عليه وسلم .[٣]

وقد جاء في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة[٤] أن الشاعر سحيما كانت لديه لكنة حبشية فكان إذا أنشد شعرا وأراد أن يقول " أحسنتَ " قال " أحسنْكَ " .

بيد أن في بعض شواهد نحو اللغة العربية شاهدا على إبدال التاء كافا في اللغة العربية ويروون قول الراجز:

يا ابن الزبير طالما عَصيكا وطالما عنيكنا إليكا

لنضربَنْ بسيفنا قفيْكا[٥]

ولربما كان استبدال الكاف بتاء عند الخطاب تطورا حدث في اللغة العربية مؤخرا وربما قبيل الإسلام بقليل ، ولم ينتشر أو يتعمق إلا بعد وقت من الزمان . غير أن هذا المثال يُظهر أن مصدر اللغة البني عامرية واللغة العربية هو مصدر واحد وأنه هو السامية .

---

[٣] محمد بن عبد الباقي البخاري (+ ٩٩١) : الطراز المنقوش ، في محاسن الحبوش نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٨٣

[٤] ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٤١

[٥] أورده أبو زيد أيضا في نوادره ، ونسبه إلي راجز من حِمير (خزانة الأدب للبغدادى – ج ٢ ص ٢٥٧ .

أما إذا أضيف الفعل الماضى لواو الجماعة مثل كلمة ناموا ، وأكلوا وذهبوا فإنه يقال باللغة البني عامرية " سكبوا ، وبَلعَوْا ، وقيسَوْا " دون النطق بالألف في الآخر . و في حالة الخطاب للمؤنث المفردة فإن هذه الكلمات تصبح " سَكَبْكِ ، وبلعِكِ ، وقِسْكِ " أى بكسر الكاف التى تقابل تاء المخاطبة في اللغة العربية مثل نِمْت وأكلتِ وذهبتِ .

وليس هناك مثنى في اللغة البني عامرية ، فهي في ذلك تشبه اللهجات العامية التى اندثر فيها المثنى واستبدل بالجمع . وهناك تاء تأنيث تلحق بالفعل الماضى فيقال " سَكْبتْ وبَلعَتْ وقيسَتْ " أى نامت وأكلت وذهبتْ . ويأتى اسم الفاعل من هذه اللغة على وزن فاعل فإذا أردت أن تقول " هو نائم " قلت هتّو ساكبْ " وإذا أردت أن تقول " هو خارج " قلت " هُتو فاقِر " إلي غير ذلك .

ومن بعض مظاهر الاختلاف بين هذه اللغة والعربية وجود كلمات عديدة بالإمالة بين الفتحة والكسرة وهذا ما لا يوجد في العربية الفصحى ، ولو أنه موجود في اللهجات العامية وفي بعض قراءات القرآن الكريم . وعلاوة على ذلك فإنه يوجد في بعض حالات الضم أيضا إذ نجد هذه الإمالة بحيث ينطق الألف المضموم الممدود كحرف (o) في الإنجليزية .

وقد جمع والدي*/ محمد صالح ضرار كثيرا من شعر شعراء هذه اللغة ، وظهرت في كتابه تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا وفي كتاب تاريخ شرق السودان – قبائل البجة – فليرجع من يريد معرفة المزيد من هذه اللغة إلي تلك المراجع التى حفظت لنا الكثير من هذا التراث .

واللغة البني عامرية تسهل كتابتها بالحروف العربية ، وكثيرا ما كان يكتب بها أهل مصوع لأهلهم وذويهم سواء أكانوا في إرتريا أيام الحكم

العثمانى أو المصرى الخديوى أو الإيطالي ، وكانت تصل هذه الرسائل إلي ذويهم في بورتسودان وسواكن والعقيق فيقرؤونها بسهولة نظرا لأنهم درسوا القرآن الكريم في كتاتيبهم وخلاويهم ، فعرفوا الأحرف العربية ، وأخذوا يستعملونها في كتابة هذه اللغة السامية .

ويصعب تحديد الفترة التى انتشرت فيها هذه اللغة البنى عامرية في إقليم البجة الواقع على سواحل البحر الأحمر ، ولكننا نجد أن ابن حوقل حين زار شرق السودان في القرن العاشر الميلادى (٣٥٠ هـ / ٩٥٦ م) وجد أن قبائل البجة تتحدث لغتين مختلفتين . ومن المرجح أنهما اللغة التبداوية واللغة البني عامرية وهما لغتان ما زالتا باقيتين في إقليم البجة حتى الآن ، بالإضافة إلي اللغة العربية .

أما اللغة التبداوية فقد قام بعمل دراسة مستفيضة فيها الأستاذ الحاذق محمد أدروب أوهاج ، وهو من المتحدثين بها كلغة أم بالإضافة إلي تفرده بمعرفة اللغة العربية وآدابها ومكنونات تصريفاتها دون أن ينسى التبحر في اللغة الإنجليزية ، وأنا أعرف فيه كل هذا الحذق ، وأوصى القارىء بالرجوع إلي ما كتب في هذا الموضوع لعدم إلمامي بخفاياه ، وكذلك حالي مع بقية اللغات واللهجات المحلية المنتشرة في طول السودان وعرضه .

وهناك شعراء كثيرون في لغة بني عامر ، وقد أورد محمد صالح ضرار بعضها في ما كتبه في كتابه " تاريخ قبائل الحباب والحماسين – بالسودان وإرتريا " كما جاء أيضا بعض الشعر في كتابه تاريخ بشرق السودان . وسيجد القارىء أن الشعر البني عامري يلتزم بالقافية والروي وموسيقى التفعيلات والبحور . ولهذا فإننا ننبه إلى المصادر التى يمكن أن يجد فيها الباحث مقتطفات من الشعر البني عامري .